القيم الأسرية كما تعكسها الدراما التليفزيونية المصرية "مسلسل سابع جار نموذجاً"

سماح عبد الله*

تناولت الدراسة الحالية القيم الأسرية التى عكسها الطرح الدرامى للمسلسل التليفزيونى سابع جار، ولقد حددت الدراسة مسبقاً ثمانية مؤشرات دالة تمثل فى مجملها القيم الأسرية، اهتم المسلسل المذكور بسبع منها. كما اهتمت الدراسة بقياس مدى اقتراب أو ابتعاد الطرح الدرامى للقيم الأسرية عن واقع المجتمع المصرى، وشكل السياق الاقتصادى الاجتماعى لشخوص العمل الدرامى التى تعد القيم الأسرية التى ظهرت فى المسلسل خاصة بهم. أظهرت النتائج أن الطرح الدرامى اقترب من الواقع فى قضية عمل المرأة، وابتعد عن الواقع فى طرحه لحلول تخص قضية تأخر سن الزواج لدى الفتاة، واستباحة العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج. كما أن السياق الدرامى للمسلسل عينة الدراسة اعتبر القيم المطروحة خاصة بالطبقة الوسطى؛ وذكر ذلك فى أكثر من موضع ضمناً وصراحة؛ لكنه تطرف فى العرض والتناول، وكان شديد التعميم؛ حيث أعتبر مؤشرات معينة للقيم الأسرية تخص الطبقة الوسطى ككل على اختلاف شرائحها، وهو ما يبعد بالطرح عن الواقع الاجتماعى المصرى بخصوصية نظامه الطبقى.

مقدمة

تعد القيم الاجتماعية مع العادات والتقاليد والآراء والاتجاهات وغيرها الجانب الذاتى للوعى؛ فى حين تمثل الأيديولوجيا الجانب العام له، ويشكل الجانبان معًا جوهر الوعى الاجتماعى. (١)

* مدرس علم الاجتماع، قسم بحوث الاتصال الجماهيرى والثقافة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

ويمكن رصد القيم الاجتماعية من خلال تجسداتها فى سلوكيات أو نتائج سلوكيات، ولأنها من مكونات الوعى– كما سبق القول؛ فهى تعد انعكاسًا لواقع اقتصادى اجتماعى معين وفترة تاريخية بعينها، ونوعية القيم التى تظهر فى مجتمع ما لصيقة بخصوصية هذا المجتمع لذلك لا يمكن دراستها بعيداً عن شروط الوجود الاجتماعى الذى أفرزها. (٢)

ولقد اختلفت النظرة إلى الوعى الاجتماعى باختلاف الاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع، فنجد أن الاتجاه المثالى يؤكد على أسبقية الوعى على الوجود الاجتماعى لذا فهو– أى الوعى– يحدد كل ما عداه داخل المجتمع؛ فمكونات الوعى– مثل القيم والمعايير وحتى الاتجاهات– تحدد شكل البنية الاجتماعية الاقتصادية فى مجتمع ما بل وقد تغير فى أبنية المجتمع وشكله وتركيبته، بينما يؤمن الاتجاه المادى بالعكس تمامًا؛ حيث شروط الوجود الاجتماعى– شكل المجتمع وأبنيته وتركيبته الطبقية وغيرها– تحدد نوعية الوعى، لكن هذا لا يعنى أن الوعى تابع سلبى للوجود بل يمتاز بنوع من الاستقلالية النسبية فى تطوره، هذه الاستقلالية تسمح له إما أن يتخلف عن تطور الوجود أو يسبقه؛ فالوعى يؤثر فى شروط ومحددات الوجود، والوجود يحدد شروط ومحددات الوعى، أى أنها علاقة تأثير وتأثُر. (٣)

أدى الاختلاف فى النظرة إلى الوعى الاجتماعى إلى الاختلاف فى تناول قضية القيم الاجتماعية، فنجد أن القيم الاجتماعية فى الاتجاه المثالى تتم دراستها بدون ربطها بالأبنية الاجتماعية التى نشأت فيها، فالقيم لدى أنصار هذا الاتجاه تتصف بالثبات والجبرية، ذلك لأنها متفق عليها من جميع أفراد المجتمع وتحظى (بالإجماع القيمي)، لذلك فإن محاولة تغييرها أو الخروج عليها مستحيلة، وتؤدى لمشكلات اجتماعية عديدة، والقيم كما يراها الاتجاه المثالى ليس لها جذور فى الأبنية الاجتماعية، ويتجاهل هذا الاتجاه فى وصفه

للقيم الاجتماعية وفى دراستها وتفسيرها – التنوع الطبقى وجماعات المصالح ليؤكد (الإجماع القيمى) ثبات القيم وجبريتها، ويدعو الفرد – بناء على ذلك – أن يتقبل حياته كما هى ويحاول أن يتكيف مع مجتمعه ومع قيم هذا المجتمع لأنها لن تتغير، وأخيرًا يؤكد الاتجاه المثالى أن المشكلات الاجتماعية دائمًا ما تنجم عن تبني بعض الأفراد لنسق قيم غير ملائم. (٤)

واختلف الاتجاه المادى فى نظرته إلى القيم الاجتماعية بوصفها مكونًا من مكونات الوعى عن سابقه، فالقيم الاجتماعية لديه لا بد من النظر إليها داخل المجرى المادى الذى نبعت منه، لذلك فهى متغيرة ونسبية تتأثر بالمرحلة التاريخية التى تظهر فيها، وبالمجتمع الذى تنشأ وتوجد فيه، وبالطبقات الاجتماعية المسيطرة فيه وغيرها، وأكد هذا الاتجاه على نسبية القيم الاجتماعية وعلى أنها متغيرة مثلها مثل المجتمع الذى نشأت داخله. (٥)

وهناك عدد من الآليات والميكانزمات التى تستخدمها القيم الاجتماعية لتساعدها على الانتشار، منها الاعتماد على وسائط تنتشر من خلالها، وأدوات تستخدمها هذه الوسائط؛ وهنا فى هذه الدراسة كان الوسيط واحدًا من أهم وأخطر وسائل الإعلام وهو التليفزيون، والأداة كانت واحدة من أهم الرسائل الإعلامية وهى الدراما التليفزيونية المسلسلة، فالتليفزيون بوصفه وسيطاً يصل إلى قاعدة عريضة من الناس ويعتمد على عناصر كثيرة فى التأثير على المشاهد منها عنصرى الصورة والإبهار، أما الدراما التليفزيونية المسلسلة بوصفها أداة – فهى مادة الترفيه الأولى والأساسية فى القنوات المختلفة ولها صفتان مهمتان الأولى التواتر الذى ينشأ عن طبيعتها المسلسلة بالإضافة إلى عناصر الإبهار والصورة والتشويق التي ترتبط بالتليفزيون كوسيط؛ والثانية أن الدراما التليفزيونية المسلسلة تصل إلى عدد كبير من الأشخاص بغض النظر عن النوع والطبقة والتعليم والمرحلة العمرية مما يجعل تأثيرها جد خطير.(٦)

وسوف تنطلق الدراسة الحالية من فكرة أن القيم نسبية ومتغيرة تتأثر بالمرحلة التاريخية التى يمر بها المجتمع، وبخصوصيته الثقافية، وأن القيم الاجتماعية لا يخلو منها أى مجتمع سواء عربى أو غربى؛ لكن المؤشرات الدالة عليها تختلف باختلاف أبنية المجتمعات؛ وباختلاف السياق الثقافى الخاص بها، فهل الطرح الدرامى للمسلسل عينة الدراسة يلتزم بخصوصية المجتمع المصرى فى طرحه للقيم الأسرية داخل السياق الدرامى.

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على كيفية عرض مسلسل سابع جار للقيم الأسرية داخل سياقه الدرامى، ويتحقق هذا الهدف من خلال الإجابة عن تساؤل رئيس وعدد من التساؤلات الفرعية؛ يتمثل التساؤل الرئيس فى؛ كيف طرح السياق الدرامى لمسلسل سابع جار القيم الأسرية ؟ وينقسم التساؤل الرئيس لعدد من التساؤلات الفرعية:

١- كيف طرح السياق الدرامى للمسلسل القيم الأسرية ؟ وما المؤشرات الخاصة بهذه القيم التى أكد عليها السياق الدرامى للمسلسل، وما المؤشرات التى لم يتعرض لها ؟

٢- هل اقترب الطرح الدرامى للقيم الأسرية داخل المسلسل من الواقع الاجتماعى الفعلى للمجتمع المصرى أم ابتعد عنه ؟

٣- ما شكل السياق الاقتصادى الاجتماعى لشخوص العمل الدرامى؟ وما الطبقة الاجتماعية التى ينتمى لها شخوص العمل والتى أظهرت هذه القيم بوصفها قيمًا خاصة بهم ؟

مفاهيم الدراسة

١- الدراما التليفزيونية (إجرائيا) : يقصد بها فى هذه الدراسة المسلسل التليفزيونى ذو الطابع الاجتماعى الذى يتناول داخله كقضية محورية

مثل القيم الأسرية الخاصة بالأسرة المصرية الحضرية أى التى تعيش فى حضر مصر .

٢- القيم الأسرية (إجرائيًا): كل ما يخص الأسرة المصرية بوصفها كياناً اجتماعيًا؛ بكل ما يدور بداخلها من روابط وعلاقات، أيضًا تضم شكل العلاقة بين الرجل والمرأة بصفة عامة وداخل الأسرة بصفة خاصة. [٧]

ويمكن قياس هذه النوعية من القيم بعدد من المؤشرات الدالة عليها داخل السياق الدرامى للمسلسل وهى؛*

١- إعلاء القيم المادية عند الاختيار للزواج.

٢- خروج/ عدم خروج المرأة للعمل.

٣- الزواج المبكر/ المتأخر.

٤- إدانة العلاقات الجنسية قبل الزواج أو خارج نطاقه:

أ- التأكيد على الزواج بوصفه قيمة.

ب-إدانة العلاقات غير المشروعة.

٥- احترام / عدم احترام الزوجين بعضهما البعض.

٦- تقدير /عدم تقدير كبار السن ويشتمل على:

أ- عقوق الوالدين .

ب- عدم الحديث باحترام لأحد الوالدين أو كليهما.

٧- استخدام / عدم استخدام العنف ضد المرأة (لفظى أو جسدى) .

٨- الانتماء العائلى والتكافل والتضامن .[٨]

عينة الدراسة

تم اختيار مسلسل سابع جار بطريقة عمدية؛ حيث عرض المسلسل عرض أول على محطة CBC دراما الفضائية، أكتوبر ٢٠١٧، ثم تم عرض الحلقات كاملة على القناة الخاصة بالمحطة على اليوتيوب بعد ذلك، وتحددت مبررات

اختيار المسلسل؛ فى أن القضية المحورية للسياق الدرامى كانت الأسرة المصرية بكل ما يخصها من قضايا وإشكاليات، وبكل ما تحويه من قيم – منها القيم الأسرية وذلك حسب رؤية مؤلفى العمل فى إطار اجتماعى.

أسلوب الدراسة

اعتمدت الدراسة على أسلوب تحليل المضمون الكيفى للمسلسل المختار؛ حيث تضمنت استمارة التحليل عدد من المحاور الرئيسة التى تجيب فى مجملها على تساؤلات الدراسة.

وهناك عدد من العناصر الخاصة بالشكل فى السياق الدرامى للمسلسل المختار وهى ؛

- الزمان: تدور أحداث المسلسل فى الوقت الراهن من حياة المجتمع المصرى.
- المكان: وقعت الأحداث في مدينة القاهرة .
- مدة عرض الحلقة الواحدة: ٤٥ دقيقة تقريبًا .
- توقيت العرض: تم عرض المسلسل على قناة CBC الفضائية وكان كالتالى؛ على قناة CBC؛ العرض الأول السابعة مساءً والإعادة فى الثانية بعد منتصف الليل والحادية عشرة صباحًا، وعلى قناة CBC دراما؛ العرض الأول العاشرة مساءً والإعادة السادسة صباحًا والثالثة عصرًا.
- عدد الأسر الفاعلة فى الأحداث: ٨ أسر.

أحداث مسلسل سابع جار

تدور أحداث المسلسل الدرامية حول عدد من الأسر تقطن فى عمارة سكنية واحدة، ويركز السياق الدرامى على نوعين من العلاقات؛ العلاقات الأسرية داخل كل أسرة، وعلاقات الجيرة بين الأسر وبعضها البعض.

تضم العمارة السكنية ثمان أسر، أسرة اللواء المتقاعد الذى توفيت زوجته ويعمل ابنه الوحيد بالخارج، ويتركه فى رعاية الخادمة كريمة التى يعرفها بالكاد

حيث أحضرها له وسيط لتراعى والده، ويتضح من خلال السياق الدرامى أن كريمة كانت فتاة ليل وأن الوسيط قواد ويأخذ نسبة من راتبها كخادمة.

تقابل شقة اللواء شقة مى التى تعمل مهندسة ديكور وتدير الشقة مكتب هندسى، وهى شبه مقيمة فيها تاركة والديها فى فيلا بالتجمع، وتوضح الأحداث أن زميلها بالعمل شبه مقيم معها، ومى على علاقة غير مشروعة بجارها أحمد المتزوج .

الأسرة الثالثة؛ هى أسرة لمياء التى توفى زوجها تاركًا لها ابنتين وابن وهى لا تعمل، والأبناء هم؛ دعاء أخصائية التحاليل شديدة التدين والبخل، وهبة خريجة كلية التجارة والتى لم تحصل على عمل، وعبد الرحمن فى الصف الأول الثانوى. الشقة الرابعة تقطنها ليلى أخت لمياء، ومدير الشئون القانونية بإحدى المصالح الحكومية والمتزوجة من مجدى المطلوب على ذمة قضايا نصب وشيكات بدون رصيد وهارب دائما من الدائنين ومن الشرطة، ولديها ابنتين؛ الأولى هالة مديرة تنفيذية فى شركة كبرى، وهند لا تعمل ومتزوجة من شبه عاطل وأنجبت ولدًا.

أسرة عمرو صاحب العمارة الملحن المتزوج من جيلان العازفة فى دار الأوبرا، وأسرة نهى التى لا تعمل والمتزوجة من طارق موظف البنك ولها منه طفلان، وأسرة قدرية وابنها تامر، وأسرة أحمد المتزوج ولديه ولد والذى يعمل بالخليج ويقيم فى فترة إجازته فى شقة والديه.

توجد عدد من الشخصيات التى تخدم الشخصيات المحورية ومنها؛ على زميل هالة فى العمل، وشريف ولانا أصدقاء مى، ونيرمين صديقة هبة، وسهر وحلا أصدقاء عبد الرحمن، ومروان موزع الموسيقى الذى تعمل معه جيلان، وأمانى زميلة طارق فى البنك وحسن صديقه، وزوجة أحمد وغيرهم.

قام بكتابة المسلسل ثلاث كاتبات.

نتائج الدراسة

تنقسم النتائج الخاصة بالدراسة إلى ثلاثة محاور، تجيب فى مجملها عن التساؤلات الخاصة بالدراسة؛ يوضح المحور الأول طريقة تناول مسلسل سابع جار للقيم الأسرية داخل سياقه الدرامى، مع عرض للمؤشرات الخاصة بهذه القيم والتى أكد عليها الطرح الدرامى، والمؤشرات التى لم يتعرض لها وذلك قياسًا على التعريف الإجرائى للقيم الأسرية الذى تتبناه الدراسة الحالية.

ويهتم المحور الثانى بالوقوف على مدى اقتراب –أو ابتعاد الطرح الدرامى للقيم الأسرية داخل المسلسل عن الواقع الاجتماعى المصرى، ويجيب المحور الثالث من النتائج عن سؤال مهم مؤداه القيم المطروحة خاصة بمن ؟، وما السياق الاقتصادى الاجتماعى لشخوص العمل الدرامى التى أظهرت هذه القيم بوصفها قيمًا ممثلة لهم؟

المحور الأول:القيم الأسرية كما يعكسها السياق الدرامى لمسلسل سابع جار

حدد التعريف الإجرائى للدراسة الحالية؛ القيم الأسرية فى ثمانية مؤشرات، وسوف نعرض من خلال هذا المحور المؤشرات التى ظهرت من خلال السياق الدرامى للمسلسل، والمؤشرات التى لم يتعرض لها المسلسل ولم يشر إليها أى إشارة.

أولاً: المؤشرات الخاصة بالقيم الأسرية التى ظهرت فى السياق الدرامى لمسلسل سابع جار

١.خروج / عدم خروج المرأة للعمل

ظهر خروج المرأة للعمل فى الطرح الدرامى للمسلسل عينة الدراسة من أجل تحقيق الذات، وإيمانًا بقيمة عمل المرأة؛ ظهر السياق الدرامى داعمًا لهذا المؤشر ومؤكدًا على أهميته، وظهر هذا فى مواضع كثيرة من خلال حوار شخوص العمل، فمثلاً على لسان هالة " زى ما الراجل والجواز سند، الشغل والفلوس سند برضه".

وامتهنت المرأة فى السياق الدرامى مهن مثل أخصائية تحاليل طبية، مديرة تنفيذية فى إحدى الشركات الكبرى، مديرة شئون قانونية فى إحدى وزارات الدولة، وعازفة تشيللو فى دار الأوبرا، ومهندسة ديكور وغير ذلك. وهنا يريد السياق الدرامى أن يؤكد على أن هناك تمكينًا للمرأة المصرية فى السنوات الأخيرة داخل المجتمع المصرى فى كافة المناحى بما فيها التمكين الاقتصادى والاجتماعى، الطرح هنا يتفق مع الواقع الاجتماعى المصرى الموجود والمأمول. هذا وتشير مؤشرات قياس الأثر الصادرة عن المجلس القومى للمرأة فى التمكين الاقتصادى للمرأة المصرية إلى؛ استهداف زيادة قوة العمل النسائية فى قطاعات عديدة، وذلك طبقًا لاستراتيجية ٢٠٣٠ التى تتبناها الدولة.

فعلى سبيل المثال نسبة النساء فى وظائف إدارية عام ٢٠١٦؛ القيمة المرصودة (٦٪)، والقيمة المستهدفة فى ٢٠٣٠ (١٢٪)، أى الضعف تقريبًا، ونسبة النساء فى وظائف مهنية ٢٠١٦ المرصودة (٣٨٪) والمستهدفة (٤٨٪) .[٩]

وصاحب هذا حزمة من الإجراءات التى تحمى حقوق المرأة العاملة وتقدم الخدمات المساندة؛ منها تفعيل القوانين التى تحميها وتضمن حقوقها فى ساعات العمل، والإجازات، والمساواة مع الذكور فى الأجر لا سيما القطاع الخاص، واتخاذ التدابير لضمان التزام أنظمة الموارد البشرية بالمساواة بين

الجنسين، فى كافة علاقات العمل (التوظيف والتدريب والترقية إلخ)، وتوفير المساعدة للمرأة العاملة وفقًا للمادة ١١ من الدستور المصرى.[١٠]

كما أكد السياق الدرامى فى أكثر من موضع على أن؛ التعليم وسيلة للحراك الاجتماعى والارتقاء فى السلم الوظيفى بسهولة ويسر، وتناول السياق الدرامى الفرضية الأخيرة فى ربطها بالعمل الخاص وبالعمل فى القطاع الحكومى، كى يعمم الفرضية الخاصة بعلاقة التعليم بالحراك الاجتماعى، ويؤكد على وجودها.

٢. الزواج المبكر / المتأخر

ثانى المؤشرات الدالة على القيم الأسرية التى عرض لها المسلسل، وقد أعطى السياق أمثلة للزواج المبكر كانت فى معظمها فى جيل الأمهات، كما عرض للزواج المبكر فى نماذج قليلة من جيل الأبناء وربطها بعدم خروج المرأة للعمل؛ حيث المتزوجات قبل سن الثلاثين هن من غير العاملات. كانت الأولوية فى الطرح الدرامى داخل مسلسل سابع جار فى التناول للزواج المتأخر بالمرور على قضية تأخر سن الزواج للفتاة .

طرح السياق الدرامى للمسلسل حلولاً تكاد تكون غير منطقية وبعيدة عن واقع المجتمع المصرى لتأخر الزواج لدى الفتاة، تمثل الحل الأول فى طرح مسألة تعدد مرات الزواج؛ وعلى الرغم من أن الطرح كان فى صورة كوميدية إلا أنها كانت مؤيدة للفكرة ، وجاءت الفكرة عن لسان عمة لمياء وليلى التى تزوجت مرات عديدة لا تذكرهم وهى تنصح الفتيات غير المتزوجات من أبناء السيدتين بالحذو حذوها، فتقول "الدين مش حاطط محاذير للجواز والطلاق"، وهنا يرتبط هذا الطرح بالجهل بالدين وتعاليمه التى تحدد معايير ومحاذير لكليهما.

أما الحل الثانى لمشكلة تأخر سن الزواج لدى الفتاة كما طرحه السياق الدرامى؛ فكان على لسان شخصية هالة التى تخطت سن الخامسة والتلاثين التى تريد أن تصبح أما، ففكرت فى بنوك تجميد الأجنة، والتلقيح الصناعى لتحظى بطفل، وهو ما لم تجده فى مصر لغير المتزوجات، ففكرت فى السفر للخارج للقيام بهذ العملية، حتى اهتدت للزواج من زميلها – الذى عرض عليها علاقة غير شرعية من قبل– لفترة حتى تنجب ثم يتم الطلاق فى هدوء.

وهنا ينبغى أن نشير أن الفكرة نفسها غير موجودة فى المجتمع المصرى، حيث تحرم الأديان – وأيضًا التقاليد والأعراف – أن تنجب المرأة بدون زواج، وكون أن السياق الدرامى يطرح الفكرة من خلال فتاة غير متزوجة متعلمة ومثقفة مثل هالة هى فرضية ضمنية بأن هذا تفكير الكثيرين وهو تعميم خاطيء ويفتقد إلى الصدق، ويفتقد إلى الأدلة الفعلية على وجوده.

٣. إدانة العلاقات الجنسية قبل الزواج أو خارج نطاقه

ويشمل هذا المؤشر على التأكيد على الزواج بصفة عامة بوصفه قيمة؛ وإدانة للعلاقات غير المشروعة.

لم يؤكد السياق الدرامى لمسلسل سابع جار على الزواج بصفة عامة بوصفه قيمة، كما أنه لم يدين العلاقات غير المشروعة بكافة أنواعها سواء قبل الزواج أو خارج نطاقه، بل على العكس تمامًا ظهر السياق الدرامى فى أحوال كثيرة يبرر هذا النوع من العلاقات، ووقف موقفًا محايدًا فى وقت تظهر فيه الحيادية انحياز لهذا النوع من العلاقات. ويظهر هذا التوجه على لسان شخوص العمل الدرامى بطريقة متواترة وشبه دائمة فى الحوار.

فعلى لسان طارق زوج نهى والأب لطفلين فى حديثه مع جارته "ببص على العيال وعلى كرشى وأقول أنا بقيت هنا ازاى، ما كان زمانى فى سينا سهران مع أصحابى ومعانا بنات، وبعمل رياضة، دلوقتى بقى أقصى طموحى

أتفرج على ماتش كامل من غير خناق". هنا يقلل السياق الدرامى من الزواج والعفة والطهارة بوصفهم قيمًا، ويبرر العلاقات غير المشروعة قبل الزواج.

وفى مشهد آخر؛ تظهر مى فى وضع مخل مع أحمد – جارها المتزوج قائلة "أيام المدرسة؛ دى العمارة كلها قفشتنا، من بوابين لسواقين لبتوع دليفري كمان"، وفى السياق نفسه عندما سافرت معه الإسكندرية "مش عايزك يا مى مهما حصل تيجي هنا مع حد تاني، هنا الشقة اللى كنتي فيها بتاعتي."

هذا وقد أشار السياق الدرامى للمسلسل المدروس– فى أكثر من موضع إلى أن طلب إقامة علاقة غير مشروعة شيء عادى وسهل حدوثه، وصيغة الاستسهال هذه وطريقة العرض ليس بها أى إدانة من ناحية، وتقدم هذا النموذج على أنه السائد من ناحية أخرى وليس بوصفه نموذجًا شاذًا أو غير مستحب؛ فعلى سبيل المثال يعرض على زميل هالة عليها الدخول فى علاقة غير مشروعة "محتاجين نقرب من بعض، علاقة مريحة من غير ضغوط، وأنا مش مراهق وذكائك وفطنتك بينت لك ده، وأنتى فكرة الجواز مش عايزاها ولا أنا، وإحنا واصلين لدرجة نضج تخلى بينا علاقة مريحة وحلوة".

وفى موضع آخر تشجع مى جارتها هبة على التمادى فى علاقة حب غير سوية مع جارهم المتزوج "العك شيء جميل...إيه بتحبي راجل متجوز ؟."

إن السياق الدرامى لمسلسل سابع جار – ضمنيًا أو صراحة يحط من قيمة المرأة، ويصور المجتمع المصرى على أنه يقبل العلاقات غير المشروعة ويتقبل ممارسيها ويتجاهل ميراثًا طويلاً من الدراسات الاجتماعية التى أكدت أن قيمة التدين متأصلة فى الشخصية المصرية. كما أن الصورة التى يضع بها المرأة المصرية ترجعنا إلى ميراث طويل من الأعمال الدرامية التى كانت تحط من قدر المرأة، وتنظر إليها بوصفها جسدًا؛ ذلك النوع من الأعمال الذى انتشر فى سبعينيات القرن الماضى.

إن تكريس النظرة الدونيـة للمـــرأة يعد من آليات فكر الفهلوة؛ ذلك الفكر الذى من مؤشراتـــه المشاهد المليئة بالإيحاءات الجنسية، ووجود المرأة فى إطار مثير، وقبولها بأوضاع وظروف وفرضيات شاذة مثل كونها عشيقة لزوج أو فتاة ليل[١١]، ويعد السياق الدرامى مؤيدًا لهذه النظرة من خلال طريقة عرضه.

لقد اختزل السياق الدرامى أيضًا مفهـــوم العفـــة فى إطار ضيق للغاية، وهو العفـــة الجسدية؛ فهالة تشـــرب الخمـــــر مع زميلها داخـــل بـــار، وهبة تشرب الحشيش مع جارها فى سيارته، لكنهن عفيفات من وجهة نظر مؤلفى العمل، حيث العفة جسدية ولا علاقة لها بالتفكير وأسلوب الحياة الخاطىء، وهو طرح جرىء وجديد على المجتمع المصرى الذى يحسب هذه التصرفات على الرجل فما بال المرأة التى لها خصوصية نعلمها فى المجتمعات العربية كلها.

٤. احترام / عدم احترام الزوجين لبعض

غلب على السياق عدم احترام الزوجين بعضهما لبعض؛ من خلال توجيه أحدهما للآخر ألفاظ نابية أو غير لائقة. وعادة ما تكون الزوجة هى من تتلفظ بها مما يقولب المرأة مرة أخرى فى إطار يدنى قيمتها.

أيضًا ظهر فى السياق الدرامى الحديث بانفعال وبصوت مرتفع بين الزوجين أو بصورة تهكمية على أب أو أم أحدهما ولكن بصورة أقل من سابقتها.

٥. تقدير / عدم تقدير كبار السن

ويشتمل على :

أ. عقوق الوالدين

تعرض السياق الدرامى للمسلسل إلى هانى ابن لواء الجيش المتقاعد، الذي اختار السفر بناءً على طلب زوجته، وترك والده وحيدًا مع خادمة لا يعلم عنها شيئًا، والتى من السرد الدرامى يتضح إنها فتاة ليل، وقد أدان السياق الدرامى هذا المؤشر من خلال الحوار فى أكثر من موضع .

ب. عدم الحديث باحترام لأحد الوالدين أو كليهما

وظهر هذا المؤشر فى مواقف قليلة داخل الأحداث، حيث إنها كانت نقطة تركيز فرعية وليست أساسية فى السياق الدرامى.

٦. استخدام / عدم استخدام العنف ضد المرأة

ظهر العنف اللفظى داخل السياق الدرامى لمسلسل سابع جار فى أكثر من موضع، وكان موجهًا لكلٍ من الرجل والمرأة؛ حيث كان استخدام ألفاظ غير لائقة سائدًا فى أحيان كثيرة، وفى حالة ما إذا كان العنف اللفظى موجهًا للمرأة؛ يصاحبه عنف جسدى.

على سبيل المثال؛ فى أكثر من موضع تحتد لمياء على ابنتها هبة ذات الستة وعشرين عامًا وتضربها بالحذاء، وأحيانًا تضربها هى وصديقتها المقربة قائلة "معرفتش أربى"، وفى مشاهد أخرى تستخدم السب بوصفه وسيلة لعدم موافقتها على مواقف الفتاتين.

ويضع السياق الدرامى نوعى العنف فى سياق كوميدى، بعيدًا عن إدانة الفعل.

٧. الانتماء العائلى والتكافل والتضامن

ظهر الانتماء العائلى فى أكثر من موضع بين الأختين لمياء وليلى، وبين أولاد الخالة هالة وهبة ودعاء وعبد الرحمن، وبين الفتيات والأمهات.

ظهر التكافل والتضامن فى المشهد الأول فى الحلقة الأولى حيث وفاة زوجة اللواء؛ ووقوف الجيران جميعهم فى العزاء والتجهيز له وتحضير الطعام إلخ.

ثانياً: المؤشرات الخاصة بالقيم الأسرية التى لم تظهر فى السياق الدرامى لمسلسل سابع جار

فى إطار المؤشرات الثمانية التى تحدد المفهوم الإجرائى للقيم الأسرية، ظهر فى المسلسل عينة الدراسة سبعة مؤشرات منها، تناولناها بالتفصيل؛ بينما غاب مؤشر واحد فقط وهو الخاص بإعلاء القيم المادية عند الاختيار للزواج؛ حيث ظهرت فى السياق الدرامى للمسلسل حالات عديدة متزوجة – أو فى طريقها للزواج– ليس من ضمن شروط الاختيار للزواج الجانب المادى، غلبت الجوانب العاطفية والعقلانية على الاختيار، وظهر الطرح الدرامى مؤيدًا لهذا التوجه فى أكثر من موضع .

المحور الثانى: مدى اقتراب أو ابتعاد الطرح الدرامى للقيم الأسرية فى السياق الدرامى للمسلسل من الواقع الفعلى للمجتمع المصرى

إن القيم الاجتماعية بوصفها نسبية ومتغيرة؛ تتغير من مجتمع لآخر، وفى المجتمع نفسه من حقبة تاريخية لأخرى، والمجتمع المصرى شأن كل مجتمعات العالم له خصوصية تاريخية وثقافية متفردة؛ تلك الخصوصية التى تفرز نوعية القيم الاجتماعية الخاصة به.

ونجد أنه فى أثناء عرض مسلسل سابع جار للمؤشرات الخاصة بالقيم الأسرية؛ يقترب من الواقع الخاص بالمجتمع المصرى تارة ويبتعد تارة أخرى، وذلك فى عدد من القضايا؛ نخص منهم بالذكر ثلاث:

١. عمل المرأة

على سبيل المثال؛ أكد السياق الدرامى على أهمية خروج المرأة للعمل، واستقلالها المادى بطرق مباشرة وغير مباشرة، وأظهر المرأة المصرية الحضرية العاملة بمظهر السيدة التى تحقق التوازن بين حياتها الخاصة وعملها، كما ظهرت المرأة فى السياق الدرامى متقلدة مناصب عديدة، وهو ما يتفق مع الواقع الفعلى والاتجاه نحو التمكين الاقتصادى والاجتماعى للمرأة المصرية.

٢. تأخر سن الزواج

عرض المسلسل عينة الدراسة لقضية تأخر سن الزواج؛ وهى موجودة بالفعل فى المجتمع المصرى لكن أعطى لها حلولاً غير واقعية، ولا يمكن تطبيقها فى المجتمع المصرى.

طرح السياق الدرامى ثلاثة حلول من وجهة نظره لتأخر سن الزواج لدى الفتاة مع وجود رغبة فطرية لديها فى أن تصبح أمًا؛ الأول بنوك الأجنة، والثانى التلقيح الصناعى وكلا الحلين لجأت البطلة للسؤال عنهم وكادت أن تقدم على تنفيذهما بدون زواج، والحل الثالث – الذى تم تنفيذه بالفعل هو الزواج المشروط بمدة محددة تنتهى بحدوث الحمل، وكل الحلول لم ولن تنفذ فى الواقع المصرى.

لقد ابتعد الطرح الدرامى عن الواقع المصرى– بخصوصيته الثقافية؛ حيث التقاليد والأعراف بما لها من قوة ترفض هذه النوعية من الحلول.

٣. العلاقات الجنسية قبل وخارج إطار الزواج

لم يدين السياق الدرامى العلاقات الجنسية قبل وخارج إطار الزواج، وصورها على أنها عادية وتحدث، وخاضعة للعرض والطلب، كما صور ممارسيها بأنهم مقبولون اجتماعيًا من أصدقائهم المقربين، وبعض جيرانهم، على عكس الواقع

فى المجتمع المصرى الذى ما زال يدين هذا النوع من العلاقات وينبذ فاعليها، ولقد تجاهل السياق الدرامى قوة الدين والعرف التى تميز المجتمع المصرى وتشكل خصوصيته الثقافية.

وقد ترتب على ما سبق أن المسلسل عينة الدراسة صور لنا كافة العلاقات المشوهة على أنها عادية وتحدث فى السياق الخاص بالحياة اليومية، منها؛ القبول بعلاقة بدون زواج، خيانة الزوج للزوجة، الارتباط برجل متزوج، شرب المخدرات مع أصدقاء من الجنس الآخر، زيارة الفتيات لأصدقائهم الأولاد فى البيوت وهكذا، والسياق الدرامى وقف موقف المؤيد ضمنيًا لكثير من هذه السلوكيات، وهو ما يجعل السرد الدرامى مغايرًا للواقع الاجتماعى المصرى فى كثير من الأحيان .

المحور الثالث: السياق الاقتصادى الاجتماعى لشخوص العمل الدرامى وعلاقته بالقيم الأسرية المطروحة فى المسلسل

أشار القائمون على المسلسل الدرامى عينة الدراسة فى أكثر من موضع إلى أن المسلسل يعبر عن الطبقة الوسطى المصرية، وأن أسلوب الحياة الذى تم تناوله داخل السياق الدرامى؛ والقيم المعروضة فيه تخص هذه الطبقة.

لذلك يتعين قبل عرض النتائج الخاصة بهذا المحور أن نحدد – بقدر الإمكان– ماهية الطبقة الوسطى فى المجتمع المصرى حسب ما تم تناوله فى أدبيات علم الاجتماع، مع الأخذ فى الاعتبار صعوبة هذا التحديد نظرًا لوضعية المجتمع المصرى، وخصوصيته من ناحية، ونظرًا للجدل العالمى حول تحديد إجرائى للطبقة الوسطى من ناحية أخرى.

يرى أولين رايت أن مشكلة التحليل الطبقى المعاصر تتمثل فى؛ محاولة تسكين المواقع الطبقية الوسطى فى البناء الطبقى، وفى تعيين حدودها بدقة، ويرد بعض الباحثين هذه الصعوبة لعاملين أساسيين؛ الأول هو أن المواقع

الطبقية الوسطى تتشكل من خليط غير متجانس من الجماعات والشرائح التى يصعب تجميعها بدقة فى إطار مفهوم وتكوين واحد، أما العامل الثانى فهو يخص طبيعة الأطر النظرية والإيديولوجية التى يتبناها الدارسون للطبقة؛ حيث لكل منهم محدداته ومعاييره حتى بين هؤلاء المنتمين لإطار نظرى واحد.(١٢)

وأما عن المجتمع المصرى بصفة خاصة؛ فهناك صعوبة تكمن فى قلة الدراسات عن الطبقة الوسطى المصرية، بالإضافة إلى الصعوبات السابق الإشارة إليها والخاصة بصعوبة تعيين حدود هذه الطبقة عالميًا.

ومن هنا يبدو ملائمًا الاعتماد على ذلك الاتجاه النظرى الذى يميل إلى عدم استخدام مصطلح الطبقة لتوصيف أوضاع ومراكز الأقسام أو الشرائح الوسطى، إذ يفضل مصطلح المواقع الطبقية المتناقضة والمختلطة كما استخدمه كل من الباحث الأمريكى إيريك رايت فى المرحلة الأولى من مراحل تنظيره الطبقى، وإبراهيم العيسوى فى بحث الخريطة الطبقية لمصر الذى أضاف صفة المختلطة إلى المتناقضة للاقتراب بشكل أكبر من الواقع الطبقى، إذ يساعد هذا الموقف النظرى من الاقتراب النظرى والمنهجى بشكل ملائم لمعطيات واقع البنية والتكوين الاجتماعى والطبقى فى مصر.(١٣)

وسوف نلتزم فى هذه الورقة فى تحديد الطبقة الوسطى المصرية داخل السياق الدرامى لمسلسل سابع جار بصورة إجرائية وتعيين المواقع الوسطى المتناقضة المختلطة فى البناء الطبقى فى المجتمع المصرى كما يلى:

أ- مواقع وسطى متناقضة بين الموقعين الرأسمالى والعمالى وتشمل كبار المديرين ومتوسطى وصغار المديرين والتكنوقراط .

ب- مواقع وسطى متناقضة بين الموقعين الرأسمالى والبورجوازية الصغيرة وتشمل صغار أصحاب الأعمال والمشروعات المتوسطة والصغيرة .

ج- مواقع بين البروليتاريا والبورجوازية الصغيرة .

د- البورجوازية الصغيرة التقليدية والحديثة .[١٤]

إذن وطبقًا للتعريف الإجرائى السابق؛ يهتم السياق الدرامى لمسلسل سابع جار فى مجمله بالطبقة الوسطى المصرية * بكل شرائحها، والمفترض أن القيم الأسرية التى يتناولها السياق الدرامى فى المسلسل تخص هذه الطبقة؛ لكن هنا تظهر إشكالية منهجية أخرى وهى صعوبة تحديد السمات الاجتماعية والنفسية والثقافية الخاصة بالطبقة الوسطى – والتى يدخل فيها موضوع القيم.

لم يحظ موضوع السمات الاجتماعية والنفسية والثقافية للطبقة الوسطى بالاهتمام الكافى رغم أهميته، ولقد غلبت روح التشاؤم على الكتابات التى تناولت الطبقة الوسطى المصرية وذلك فى تحليلها لسمات هذه الطبقة، وقد خلص العديد من الباحثين إلى أن الطبقة الوسطى بحكم موقعها وتبايناتها الداخلية تتسم بعدد من السمات منها؛ أنها مستودع لانساق قيمية مختلفة ومتناقضة ورغم ذلك متعايشة معًا، وأن سر هذا التعايش هو تغليب الاعتبارات البرجماتية فى الاختيار. [١٥]

ويمكن القول إن التشاؤم المفرط في تحديد السمات الثقافية والاجتماعية والنفسية للطبقة الوسطى لا يستند لأساس علمى متين لسببين؛ الأول أن هذه الدراسات مجرد رؤى انطباعية لا تستند إلى دراسات إمبيريقية على شرائح معينة، وثانى هذه الأسباب إن معظم هذه الدراسات تعاملت مع الطبقة الوسطى ككل على الرغم من اختلاف شرائحها وفئاتها. [١٦]

أما فيما يخص القيم؛ يمكننا القول إن هناك غلبة لازدواج القيم فى شرائح الطبقة الوسطى ، أى إن هذه الطبقة مستودع لأنساق قيمية مختلفة، فعلى الرغم من طابعها العام المحافظ، إلا أن هناك تباينات وتناقضات بين قيم محافظة وقيم ليبرالية وتقدمية، ولا تتعايش هذه القيم فى شرائح مختلفة فقط داخل الطبقة بل ربما فى العقلية الفردية الواحدة، إذن هناك تناقض بين الأقوال والأفعال.[١٧]

ولعل هذه الرؤية تفسر طبيعة الطرح الدرامى للقيم الاجتماعية الخاصة بالطبقة الوسطى المصرية بصفة عامة داخل سياق المسلسل عينة الدراسة، حيث التباين بين قيم محافظة وقيم متحررة، وكأن شخوص العمل الدرامى على متصل أوله محافظ وآخره تحررى؛ فعلى سبيل المثال هناك دعاء مثال التدين والتحفظ فى القول والفعل والأفكار، ويقابلها هالة مثال التحرر فى القول والفعل والأفكار، وبينهما شخوص كثيرة فى العمل الدرامى؛ فعلى سبيل المثال ركز السياق الدرامى للمسلسل عينة الدراسة على إبراز الجدلية السابقة؛ حيث هالة التى تبحث عن حلول غير تقليدية وغير متعارف عليها فى المجتمع المصرى لتصبح أمًا – حتى لو بدون زواج، وابنة خالتها دعاء التى تتقارب معها فى السن ومستوى التعليم وأسلوب الحياة والسياق الاقتصادى الاجتماعى؛ والتى تنتظر الزواج لتحقق حلم الأمومة، وتلجأ للابتهال والدعاء والصلاة كثيرًا لتحظى بزوج، وتوافق على رؤية الخاطبين عن طريق المعارف والأصدقاء، قيم متحررة تتمثل فى هالة؛ وقيم محافظة تتمثل فى ابنة خالتها دعاء.

كما ركز الطرح الدرامى على التناقض والتضارب القيمى فى داخل الشخصية الواحدة؛ فمثلاً هبة محافظة فى تعاملاتها وليس لها علاقة بأى شاب لكن هذا لا يمنعها من تدخين الحشيش مع جارها بعيدًا عن سطوة الأسرة.

ويبقى هنا أن نشير إلى أنه على الرغم من أن التناقض القيمى إشكالية تم طرحها فى أدبيات علم الاجتماع، وتعد من أزمات الطبقة الوسطى المصرية نتيجة لعدم تبلور وعى طبقى اجتماعى خاص بها، ونتاج لخصوصية شروط وجودها، إلا أن الطرح الدرامى لنوعية القيم الاجتماعية الخاصة بهذه الطبقة بصفة عامة، والقيم الأسرية بصفة خاصة داخل السياق الدرامى كان متطرفًا، ويغلب عليه التعميم فى آن واحد، جعل الطرح الدرامى يبعد عن الواقع الاجتماعى المصرى.

خـاتمــة

تناولت الدراسة الحالية القيم الأسرية التى عكسها الطرح الدرامى للمسلسل التليفزيونى سابع جار، ولقد حددت الدراسة مسبقًا ثمانية مؤشرات دالة تمثل فى مجملها القيم الأسرية، اهتم المسلسل بسبعة منها.

كما اهتمت الدراسة بقياس مدى اقتراب أو ابتعاد الطرح الدرامى للقيم الأسرية عن واقع المجتمع المصرى، وشكل السياق الاقتصادى الاجتماعي لشخوص العمل الدرامى والتى تعد القيم الأسرية التى ظهرت فى المسلسل خاصة بهم.

وظهرت من النتائج أن الطرح الدرامى اقترب من الواقع فى قضية عمل المرأة، وابتعد عن الواقع فى طرحه لحلول تخص قضية تأخر سن الزواج لدى الفتاة، واستباحة العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج.

كما أن السياق الدرامى للمسلسل عينة الدراسة اعتبر القيم المطروحة خاصة بالطبقة الوسطى؛ وذكر ذلك فى أكثر من موضع ضمنًا وصراحة؛ لكنه تطرف فى العرض والتناول، وكان يستخدم التعميم فى أحوال كثيرة حيث اعتبر –على سبيل المثال– مؤشرات معينة للقيم الأسرية تخص الطبقة الوسطى ككل على اختلاف شرائحها، وهو ما يبعد بالطرح عن الواقع الاجتماعى المصرى بخصوصية نظامه الطبقى.

المـراجـــع

١– سمير نعيم أحمد، قضايا اجتماعية ، د.ن ، ٢٠٠٦ ، ص ص ١٠ : ١١.

٢ – سماح عبد الله عبد الحميد، القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى؛ دراسة للقيم كما تعكسها نماذج من الدراما التليفزيونية المصرية، القاهرة، رسالة دكتوراه منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٣، ص ٢.

٣– سمير نعيم أحمد، النظرية فى علم الاجتماع : دراسة نقدية، د.ن، ط٥، ١٩٩٣، أماكن متفرقة .

٤– سماح عبد الله، مرجع سابق، ص ١٠.

٥–المرجع السابق، ص ١٠ .

٦–المرجع السابق، ص ٢.

٧– المرجع السابق، ص ١١٣.

* اعتمدت الباحثة فى مؤشرات القيم الأسرية على التقسيم الموجود فى المصدر التالى؛ سماح عبد الله عبد الحميد، القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى، مرجع سبق ذكره، وعليه سوف تقيس وجود هذه المؤشرات من عدمه داخل السياق الدرامى للمسلسل.

٨– المرجع السابق، ص ص ١١٤–١٣٠ أماكن متفرقة .

٩– الاستراتيجية الوطنية لتمكين المرأة المصرية ٢٠٣٠؛ الرؤية ومحاور العمل، المجلس القومى للمرأة، القاهرة، ط١، مارس ٢٠١٧، ص ٣٥.

١٠–المرجع السابق، ص ٣٦.

١١–سماح عبد الله عبد الحميد، القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى؛ مرجع سابق، ص ١٧٧.

١٢– أحمد حسين، التحولات فى بنية المواقع الوسطى وأوضاعها، المسح الاجتماعى الشامل للمجتمع المصرى، المرحلة الثانية؛ ١٩٨٠–٢٠١٠، مجلد التدرج الاجتماعى، إشراف وتحرير نجوى حافظ، القاهرة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠١٦، ص ٥١.

١٣- المرجع السابق، ص ص ٥٣-٥٤.

١٤- المرجع السابق، ص ص ٥٦-٥٧.

* تستخدم الباحثة فى الورقة الحالية مصطلح الطبقة الوسطى لأنه متعارف عليه أكثر فى الأدبيات، وأكثر تداولاً وذلك منعًا لحدوث جدل، لكنه يساوى المواقع الوسطى المتناقضة المختلطة التى فى التعريف الإجرائى.

١٥- هويدا عدلى، الطبقة الوسطى فى مصر، دراسة توثيقية تحليلية، القاهرة، برنامج تدعيم المشاركة فى بحوث التنمية، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، أكتوبر ٢٠٠١، ص ٤٩.

١٦- المرجع السابق، ص ٥٠.

١٧- المرجع السابق، ص ٥١.

Abstract

FAMILY VALUES AS REFLECTED IN EGYPTIAN TV DRAMA
"TELEVISION SERIES SABEA GAR AS EXAMPLE"

The present study examined the family values reflected by the dramatic subtraction of the television series; subsea gar , and the study has already identified eight indicators that represent family values in their entirety, with seven of them concerned.

The study also focused on measuring the degree to which the dramatic presentation of family values approached the reality of Egyptian society, and the socio-economic context of the dramatic Characters whose the family values shown in the series as their own.

It emerged from the results that the dramatic subtraction approached The Egyptian social reality in the issue of women's employment, and moved away from it in its introduction of solutions to the issue of the late marriage age of the girls, And the sexual relations outside marriage. The dramatic context considered the values presented Specific the middle class; but it is extreme in the presentation because it was considered that certain indicators of family values belonged to the middle class as a whole, at different strata, which was far from The Egyptian social reality.